جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة : الأولى

المادة : الأدب العربي قبل الإسلام

عنوان المحاضرة : موضوعات شعر الصعاليك

مدرس المادة : أ.م.د. بشّار سَعْدي إسْمَاعِيل

موضوعات شعر الصّعاليك الجاهليين :

أولا : احاديث المغامرات : كان من الطبيعي ، ما دامت حياة صعاليك العرب قد اتخذت شعارها الغزو والإغارة للسلب والنهب أن يكون أكبر ما يعنى به شعراؤهم احاديث مغامراتهم ، لأن هذه المغامرات هي الحرفة التي قامت عليها حياتهم ، والأسلوب الذي انتهجوه فيها لتحقيق غاياتهم ، وهم يتحدثون عن هذه المغامرات حديث المؤمن بقيمتها في حياته ، المعجب بها ، الفخور ببطولته فيها ، أو بمقدرته على النجاة من أخطارها وقد ضاقت في وجهه سبل النجاة .

وهم يصفون كل ما يحدث في هذه المغامرات ، منذ أن تأخذ جماعة الصّعاليك في وضع خطتها إلى أن تنتهي الغارة ، ويعود فتيان الصّعاليك بأسلابهم بعد أن نفذوا خطتهم ، وحققوا أهدافهم ، وهم يصفون في أثناء ذلك الطريق الذي سلكوه ، ويتحدثون عن رفاق الغارة ، ودور كل واحد فيها ، وكيف نفذوا خطتهم وكيف كانت آثارها في أعدائهم ، وكيف انتهت الغارة وعاد فتيان الصّعاليك إلى قواعدهم سالمين بعد أن قتلوا وسلبوا ونهبوا فهذا الشنفرى يصف لنا غارة من غاراته التي خرج فيها في عدة من فهم فيهم تأبط شرا ، فلما انتهوا من الغارة وأخذوا طريق العودة ، اعترضت لهم خثعم ودارت بينهم معركة انتهت بانتصار الصّعاليك إذ يقول :

دَعيني وقولي بعدُ ما شئتِ إنني سيغْدَى بنعشي مرةً فأغيّبُ

ثم يتحدث عن رفاقه الذين كانوا معه ، وهم ثمانية خرجوا مسرعين ، لم يوصُوا احداً بأهلهم إذ يقول

خرجنا فلم نعْهد وقلّت وَصَاتنا ثمانية ما بعدها متعتّبُ

سرَاحين فتيانٌ كأن وجوههم مصابيحُ أو لونٌ منَ الماء مُذْهَبُ

ويقول تأبط شرا :

فثاروا إلينا في السّواد فهجهجوا وصَوّتَ فينا بالصباح المثوّب

فشنّ عليهمْ هزّة السيفِ ثابتٌ وصمّم فيهم بالحسام المسيّبُ

والأشعار في دواوين الشعراء الصّعاليك التي يتحدثون فيها عن مغامراتهم كثيرة وعديدة غير ما استشهدنا به في بيان طبيعة هذا الموضوع لديهم .

ثانيا : شعر المَراقِب :

كما تحدث الشعراء الصّعاليك عن مغامراتهم ، تحدثوا ايضا عن تربصهم بأعدائهم وترصدهم لضحاياهم ، وارتقابهم الفرصة الملائمة لمهاجمتهم ، فوق المرتفعات العالية التي يشرفون منها على الطريق بحيث يرون الناس ولا يرونهم ، والتي كانوا يسمونها المراقب .

وتكثر في شعر الصّعاليك هذه الأحاديث التي يصح أن نطلق عليها (شعر المراقب) والمرقبة التي يتربص فوقها الشاعر الصّعلوك دائما منيعة أبية على سواه ، وأكثر ما يتحدثون عن تربصهم فوقها والليل مقبل يغشى الكون بدياجيه الكثيفة ، ليكون هذا أمعن في التخفي وأقرب إلى مواتاة الفرصة ، وأدل على جرأتهم وقوة قلوبهم .

ويرسم الشّنفرى في قصيدة من شعره لوحة رائعة لمرقبة منيعة عالية يعجز دونها الصّياد الماهر الخفيف الذي يخرج بكلابه المضرّاة للصيد ، ويصف كيف صعد إليها وقد أقبل الليل بظلامه الحالك الشديد الذي يلف الكون ، وكيف قضى الليل فوقها متربصا ، مُحْدباً ذراعيه مبالغة في تخفيه ، كما يتطوى الأفعوان المتكسر ولا شيء معه سوى نعلين باليين إذ يقول :

ومَرْقبةٍ عيطاءَ يقصرُ دونها أخو الضروَة الرّجل الخفيف المشفّف

نميتُ إلى أعلى ذُراها وقد دنا من الليل ملتَف الحديقة أسدفُ

فبت على حد الذراعين مُحْدِبا كما يتطوى الأرقشُ المتقصّفُ

قليلٌ جَهازي غيرَ نعلين أسحَقتْ صدورُهما مخصورةً لا تُخصّفُ

اما تابط شرا فالمرقبة ذات صورة طريفة ، إنها مرقبة تعلو سائر المراقب ، وهي إلى جانب هذا معقدة ذات تجاعيد كأنها عجوز شمطاء عليها ثياب بالية ، ولكنه مع ذلك ما إن ينتصف الليل حتى ينهض إليها ليبدأ في تنفيذ خططه إذ يقول :

ومرقبة يا أم عمرو طِمِرّة مذَبذَبة فوقَ المراقب عَيْطلِ

نهضتُ إليها من جثوم كأنها عجوزٌ عليها هِدْمِلٌ ذاتُ خيعل

وغير ذلك من الأشعار التي تصف لنا هذه المواضع وصفا دقيقا